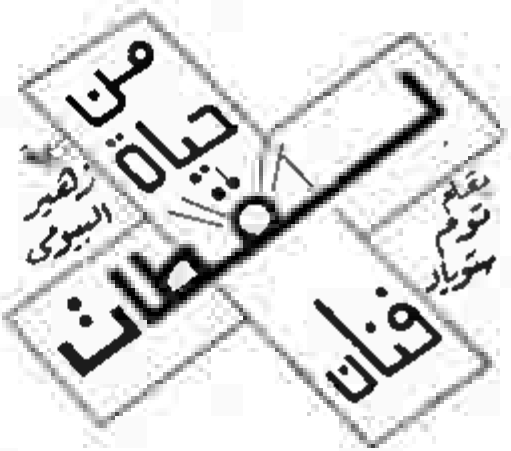

كل انسان يرتكب حماقات كثيرة فى مسهل حياته العمليه ؛ ولابد أنك ، يا عزيزى ، واحد من هؤلاء ، ولست أقول « لابد » لأنى ـ أيضا ـ واحد من هؤلاء ، وانما أقول ذلك لأنها سنة الحياة .

قتلت امرأة فى الأسبوع الأول من بدايه حياتى العملية ، وكان ذلك ناتجا عن سوء فهم للموقف ، اذ كنت جالسا وحدى فى مقر عملى بالجريدة ، بعد ظهر أحد أيام السبت حين جاءنى مسئول من مكتب الماحث واخبرنى أنه قد عثر على تلك المرأة فى نفس المكان الذى اختفت فيه وطلب أنه يقصد القول بأنه قد عثر على الجثة ، وكتبت الخبر على هذا الأساس وفى اليوم التالى دق جرس « التليفون » فى مكتب رئيس التحرير وتحدث نفس رجل الماحث قائلا لرئيس التحرير ان السيدة التى نشرنا خبر العثور على جثتها لا تزال على قيد الحياة واستد بى الرعب ودخلت الحمام كى اغسل وجهى محاولا أن اندو طبيعيا ، ولكنى خرجت منه وقد اردنت رعبا فقد كنت اعلم ما يترتب على نشر أعتذار فى اليوم التالى فى صدر الصفحة الأولى عن خبر كنت انا المسئول عنه أمام رئيس

التحرير ... الفصل من العمل ، وخاصة أنى ، كما سبق أن قلت ، لم يكن قد مضى على التحاقى بالجريدة أكثر من أسبوع ، وبعد يوم واحد حدث ما يثير الدهشة .. ماتت هذه السيدة فى ظروف غامضة ، الشىء الذى سرنى واعاد الأمور الى مجراها . كان هذا قبل أن تكتمل خيوط المؤامرة بالطبع .

استولى عليه الضحك لحظة وهو يقول ان أقرب نبع وقع فيه ـ حسبما تسعفه الذاكرة ـ كان حين استدعى لمقابلة رئيس تحرير (اقيسنج ستاندارد) اثر خطاب ارسله فى الوقت المناسب وبالاسلوب المناسب ، طالما الجريدة بوظيفة فكان الخط حليفه .

ظل لا يشعر بحاجة ملحة فى التحرك نحو العاصمة « لندن » ، وكان من رأيه ان يفعل كل ما يرى أنه فى صالحه فبدأ يشعر بالخجل من نفسه التى اوقفت العمل فى الأقاليم حتى الخامسة والعشرين من عمره .

كان رئيس تحرير صحيفة « الايفننج ستاندارد » رجلا مسنا ورغم ذلك كان هيئته لا تبعث على الخوف الشىء الذى طمأنه فجعل ينصت الى اسئلته ويجيب عليها .

ـ هل لك ميول خاصة ؟ .

ـ ميسسول .. ؟ .. آه .. نعم .. أميل الى القراءة .

وظن رئيس التحرير ان سؤاله قد فهم على غير ما يريد فاستطرد قائلا :

ـ اقصـــد .. هل لك اهتمامات سياسية ؟ .

ـ آه .. نعم .

ـ اذن من هو وزير الخارجية ؟ .

وتتابعت الأسئلة بعـد ذلك حتى وصلت الى القانون ، وانواع المحاكم ، واختصاصاتها ، وقرر هـو بينه وبين نفسه أنه أمام امتحان عسير ... لقد قال ان له اهتمامات سياسية ، ولم يقل ان السياسة قد ملكت عليه تفكيره ، .. وقال بينه وبين نفسه ان بوسعه أن يجعل وزير الخارجيـة من يشاء فى قصة يكتبها هو .

استيقظت على منظر الساحل صباح اليوم الأول ، ولارعى الاحساس الذى يولده فى النفس منظر الرمل القائم قبل شروق الشمس ، وراحت هى تسير على شاطىء البحر ممسكة حذاءها باحدى يديها .. وكان قد مضى بعض الوقت ، منذ كنا فى « مرابلا » ، تلك المدينة التى كان يطلق اسمها على المنازل القديمة المصنوعة الطلاء الواقعة فى سفح الجبل ، وقبل أن يطلق على الحانات والنوادى التى على طول الطريق الســـاحلى ؛

استغرقت رحلتي الى ذلك المكان عشرة أيام لم اشعر خلالها بمرور الوقت ، وتركوني امامي الوحدة من « أفيون حتى « نارانون » . وبعد ان اغلقت المقاهي ابوابها بدأ المطر ينهمر في ميدان « نارانون » وعلى الأشجار ، وعربات النقل الثقيلة مندفعة نحو الشمال ، تتلألأ انوارها خلال المطر .

وانى الصباح .. كان الجو حارا فوق الحصر ، وعبر الطريق الطويل الممتد بين مزارع العنب وراح يشاور للعربات لعلها تقف ، وتوقفت له سيارة فاخرة كانت في طريقها الى « برشلونة » واندفع الى داخل السيارة التي راحت تنزلق على طول الساحل لشرق مدينة «مالاجا» التي تبدو وسط الجبال المحيطة بها عارية بنية اللون ذلك اذا ما نظرت اليها بطرف عينك .

ووصلت الى جبل طارق ، وهناك تعرفت على تاجر هندي لو تذكرني لكان من الممكن ان يقضي بمبلغ من المال .

وفي « مرابلا » تغيرت اشياء كثيرة والشيء الوحيد الذي لم أكن أعرفه عنها هو ان الأثرياء في العادة ، لا يستيقظون مبكرا .. وربما بعد حدثت اشياء كثيرة .. لنفرض أن هذه الفتاة لم تكن هي التي أريدها ، فلا بد انها فتاة تشبهها .. ولكن هذا مستحيل .. ومع ذلك فلا بد أنها واحدة مثلهما ..

كنت في السابعة والعشرين آنذاك .. تماما .. وكان هذا بداية شيء آخر .. كنت أقف في البحر وكان الماء يصل حتى سرتي ، حين تذكرت انني لم ابلغ بعد السادسة والعشرين من عمري ، وأيا كانت الآمال المرجوة في هذه السن فقد ضاعت بين امواج البحر .. كنت — دائما — اغامر بعمري .. كانت الايام والسنون تمر سراعا .. هانذا في السابعة والعشرين مع قدوم الموجة التالية .. ان السنين تمر بسرعة المد والجزر ، ومع هذا فالحياة للذيذة ، وانني أقرأ معظم الليل ، واذا لم أكن دائب الشكوى فانها ستصحبني في رحلة الى الشمال في الشتاء .

وفي سن الرابعة والثلاثين رح يتحول في أرض معركة مليئة بالضحايا من الأطفال الجرحى الذين احجر عليهم الواحد تلو الآخر ليرحمهم من هذا الشعور بالألم . استغرق ذلك منه ثلاث دقائق وكانت زوجته تجلس امام المرآة في حجرة النوم لتزيل آثار الزينة الباقية على وجهها منذ الصباح ، وقد استغرقت في ذلك وقتا أطول من الذي استغرقه زوجها في الاجهاز على اولئك الضحايا .. قال بصوت متعطرس : « أنا لا أقول ان كتابات «بلزاك» كانت رديئة وقت كتابتها وانما أقول انها رديئة الآن .. اما ماكتبه « فلوبير » فقد ظل رديئا منذ كتابته حتى اليوم ، واما « ستاندال » فكانت كتاباته أردأ في نظر معاصريه منها في نظرنا ، الشيء الذي لا يقره أحد .. وكان رأي « وايلد » في « هنري جيمس » صائبا ... ومع أن « وايلد » كان من أكثر المثقفين حكمة فقد بطل بحكمته على الحياة .

... وأما العذارى من آل « بروتس » المرتبطات بالليل فكن خليقات بتوجيه مواهبهن الى الكتابة في الشئون المنزلية والسنوية ، .. وأما « تاكاري » فكان مرحا أكثر من اللازم ، .. وضحك

لفترة ثم امسك من الضحك فجأة الشيء الذي استرعى انتباه زوجته ، اذ كان ضحكه وتوقفه الفجائي من الضحك مفاجئين متلاحقتين ، ولكنه لم يعبأ بذلك ، وراح مسترسلا في اصدار أحكامه « اما « تولستوي » فكان يفتقر الى الأسلوب . « وتورجنيف . ليست له آراء فيما يكتب ، «ودوستويفسكي» لم يعرف حتى يحترف الكتابة .. حقا لا يوجد بين كتاب معاصر يضاهي « جويس » اذ لا يمكن ان نضع «لورنس» الذي كان رديئا في كل ما كتب الى جانب « جويس » .. « كافكا » نال تقديرا فوق ما يستحق وان كنت لا تصدقني ارجع الى ما كتبه « ادموند ولسون » أما ما كتبه « جيمساي » فكان نكتة لا تستحق التسجيل ، ولكي تصدقني ايضا ارجع الى ما كتبه «مانكن» . واما « همنجواي » فكان مراهقا متحذلقا ، ولعل ما يؤيدني في كل ما قلت ما كتبه « دوايت ماكدونالد » .. كتب يقول : « القمم لم تعد صالحة لعصرنا هذا .. فما كتبوه كان لعصرهم ، وأما ما نكتبه فلعصرنا نحن » .. وانحنى مقتربا من وجهها ثم قال بصوت اخشن : « اسمعي انني اعرف ما أقول وما أفعل . كل هذا من أجلك » .

وفي وحشية وبلا خجل همس شيء لون همسه بلون الفحيح « أنا .. اشعر .. اشعر بحاجتي الى شيء » وانهمك هي محاولة الا تواجهه رغم الظلام الذي كان يحول بينهما وراحت تقول : « لا .. ارجوك .. وارجو الا يعطيك استماعي منك هذه الليلة فانني لا اشعر باي رغبة هذه الليلة » .

الى اشكر جدتي في النهوض من الفراش الآن ، رغم ان هناك شيئا

لا يزال يؤرقني ، ذلك انني لا استطيع ان اتذكر ما اذا كنت قد نسيت اداء صلاتي بالأمس أم انني تذكرت وقررت الا اصلي .. ان هذا لا يهم .. ذلك اذا كان هناك شيء اهم له .. لقد تذكرت الصلاة بعد فوات الأوان .. وهل هناك من يحصي علينا صلاتنا ، .. خمسون سنة .. لم أقم فيها الصلاة الا في ساعات الشدة التي كانت تعترض حياتي ، وقد مضت ، على كل حال .. حوالي خمسة آلاف ليلة سيبت أن أصلي فيها ، أما الباقي فقد قررت الا اقيم الصلاة فيها ، ولذا كان علي ان اتذكر الصلاة في الثلاثين سنة القادمة ، لو ظل الحال هكذا .. مستحيل ، بل دوام الحال من المحال .. « لا تيأس فقد نجا احد اللصين .. ولا تتحير فقد جلست اللعنة باحدهما » .. هذا جميل . اعتقد انه من كلام القديس « اوجستين » .. كلام جميل ولكنه لا يفيد .. يجب ان اتطف الحجرة .. يا الهي ما هذه الفوضى !! ربما ارتد هيبة اخرى .. في هذه الأمسية سأحاول ان اجلل حبل افكاري واشحذ همتي مرة اخرى لأكتب شيئا ، وبعد ذلك سأنزل الى النفق لأركب القطار الى لندن حيث الشباب المتجدد بمرور الزمن ، .. ربما كنت أنا اقرب الشباب في لندن الى الكهولة .. قد يصبح المرء ذات يوم رئيسا لمن يرأسه أيا كان ، .. الكلمة المركبة تتساوى بالكلمات البسيطة في مكتب

البرق .. هه هه هه .. معظم الناس يشعرون بالملل في النهار ، ولكني احد انه من السهل على قضاء النهار بعكس ما يحدث لي بالليل .. يا الهي اررقنا كل يوم بحادثة من الصحف اليومية ، واعمر لنا تدخلنا في شئون الناس .. انا آسف لاني ازعجتك في مثل هذا الوقت ، ولكن متى تقضي على وجه التحديد .. ؟ .. « لا .. لا تسيء الينا انني اعرف ايها القتى ان عليك انت وملائك واجبات يجب ان تؤدوها .. لقد مضى على ذلك حوالي ثلاثة شهر عاما وشهران » .. يا الهي ارزقنا الاحساس وخلصنا من النعيمة ... تذكرت .. بالامس لم اسن صلاتي ولم اقرر تركها .. بدأت الصلاة ثم رحت اصارع الناس حتى قضيت عليه بطريقة ما .. لا ادكرها .. ولكني ادكر انني وجدت نفسي وقد توقفت عن الصلاة فجأة .. يا الهي انني اكاد اموت غرقا في عقيدة من قبل انه سار على صفحة الماء ولم يغرق .. هذه العبارة السائقة لا بأس بها .. يمكن ان احشرها في قصة اكتبها .. عندما يسألني الناس عن حرفتي اقول لهم انني كاتب .

ان الكاتب في حاجة ماسة الى الشجيع ، ولكنه كلما كان بعيدا عن الشر كلما اصبح اقرب الى الله .. علينا ان نختار واحدا من هذين الناشر او الله حاول ان يقاوم رغبته في اختيار الله ، لان رغبته في ارضاء الناشر كانت تفوق كثيرا رغبته في نيل رضاء الله . اضف الى ذلك انه لم يكن واثقا ما اذا كان يؤمن بالله ام لا ، وفكر في ان يضرب عصفورين بحجر واحد فوضع الآلة الكاتبة امامه وراح يتعبد .

وذات يوم القى من الناشر بطاقة الرفض رقم ١٢٧ . وفجأة رأى نور الله واضحا فجثا على ركبتيه وصاح في غبطة « يا الله .. يا حبيبي .. لقد رأيت نورك ، فاغفر لي سابق عنادي ، وتأمل خشوعي لك من الآن ؛ سأبذل ملذات الحياة ، وساجعل نفسي تحت امرتك ، وفي خدمتك على الدوام » .

وسمعه الله وارسل ملاكا الى الكاتب وهو جاث على ركبتيه ليقول له « ان الله يشكرك ويبلغك ، مع الأسف ، ان خدماتك ليست مما يناسب مملكته السماوية .

وحدث ان اكتشف الحشة اشهر نقاد العالم ، فقد عثر على المذكرة التي خطها الكاتب قبيل شروعه في الانتحار ، ولم يستطع ان يمحو البصر عنها وانما صاح وهو لا يكاد يصدق خطه « واحد آخر في اسلوبه فكاهة « جوجول » ولودفيج وفلق « كافكا » وشخوفيته .. الخ .. الخ .. الخ .. لقد عثرت على الجسم الغني .. العبقرية المغمورة ، وبهذا اكون قد اكتشفت خمسة .. اثنان فقط يرجى منهما وهذا اول الاثنين » . قال هذا وهو يقلب مقولات البيت راسا على عقب باحثا عن نقيصة اعمال هذا الكاتب ، وقد عقد عزمه على ان يتعهده حتى يرقى به وينفسه اعلى مراتب الشهرة ، ومن مرطهلوسه راح يصيح في جنون « اجاجي » « انا — كما تعرفون — مكتشف فلان الفلاني الكبير .. فتحت الباب وفجأة كان أمامي » .